

مِنْ لُطْفِ اللَّهِ بِعِبَادِهِ

لِلشَّيْخِ الْعَلَامَةِ

عَبْدُ اللَّهِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

رَحْمَةُ اللَّهِ
(١٣٧٦-١٣٧٧هـ)

دَارُ الْعِلْمِ الرَّحِيمِ

شارك في نشر هذه المطوية لتكون لك حسنة جارية

فيعزم على قربٍ من القرب ثم تنحل عزمته لسبب من الأسباب فلا يفعلها، فيحصل له أجرها، فانظر كيف لطف الله به! فأوقعها في قلبه، وأدارها في ضميره، وقد علم تعالى أنه لا يفعلها؛ سَوْقًا لِبِرِّه لِعَبْدِهِ وإحسانه بكل طريق.

والنطف من ذلك: أن يقيض لعبده طاعةً أخرى غير التي عزم عليها، هي أنفع له منها؛ فيدع العبد الطاعة التي تُرضي ربَّه لطاعةٍ أخرى هي أَرْضَى الله منها، فتحصل له المفعولة بالفعل والمعزوم عليها بالنية، وإذا كان من يهاجر إلى الله ورسوله، ثم يدرکه الموت قبل حصول مقصوده قد وقع أجره على الله - مع أن قطع الموت بغير اختياره - فكيف بمن قَطَعَتْ عليه نيته الفاضلة طاعة قد عزم على فعلها؟! وربَّما أدار الله في ضمير عبده عِدَّةَ طاعات، كل طاعة لو انفردت لفعلها العبد؛ لكمال رغبته، ولا يمكن فعل شيءٍ منها إلا بتفويت الأخرى، فيوفِّقه للموازنة بينها، وإيثار أفضلها فعلاً مع رجاء حصولها جميعها عزمًا ونيةً.

والنطف من هذا: أن يُقدَّر تعالى لعبده ويبتليه بوجود أسباب المعصية، ويُوفِّر له دواعيها، وهو تعالى يعلم أنه لا يفعلها؛ ليكون تركه لتلك المعصية التي توفرت أسباب فعلها من أكبر الطاعات، كما لطف بيوسف عليه السلام في مُراودة المرأة، وأخذ السبعة الذين يظلمهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: رجلٌ دعت امرأته ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله.

ومن لطف الله بعبده: أن يُقدَّر خيراً وإحساناً من عبده، ويُجرِّيه على يد عبده الآخر، ويجعله طريقاً إلى وُضوله للمستحق، فيثيب الله الأول والآخِر.

ومن لطف الله بعبده: أن يُجرِّي بشيءٍ من ماله شيئاً من المنافع وخيراً لغيره؛ فيثيبه من حيث لا يحتسب، فمن غرس غرساً، أو زرع زرعاً فأصاب منه روحٌ من الأرواح المُحترمة شيئاً أجر الله صاحبه وهو لا يدري! خصوصاً إذا كانت عنده نيةً حسنةً، وعقد مع ربِّه عقداً في أنه مهما ترتب على ماله شيءٌ من النفع، فأسألك يا رب أن تأجرني، وتجعله قربةً لي عندك، وكذلك لو كان له بهائم انتفع بذرّها وركوبها والحمل عليها، أو مساكن انتفع بسكنائها ولو شيئاً قليلاً، أو ماعون ونحوه انتفع به، أو عين شرب منها، وغير ذلك، ككتاب انتفع به في تعلّم شيءٍ منه، أو مُصحف قرأ فيه، والله ذو الفضل العظيم.

ومن لطف الله بعبده: أن يفتح له باباً من أبواب الخير لم يكن له على بال، وليس ذلك لقلة رغبته فيه، وإنّما هو غفلة منه، وذهول عن ذلك الطريق، فلم يشعر إلا وقد وُجد في قلبه الداعي إليه، واللافت إليه؛ وفرح بذلك، وعرف أنّها من لطاف سيِّده وطُرُقته التي قيض وُضولها إليه؛ فصرف لها ضميره، ووجه إليها فكره، وأدرك منها ما شاء الله وفتح.

«المواهب الرتانية من الآيات القرآنية» للعلامة عبدالرحمن السعدي رحمته الله، ص ١٤٦-١٥٥

بذلك، كما فُعل بأَيُّوب عليه السلام، ويُوْجَدُ في قلبه حلاوة رُوح الرِّجاء، وتأمل الرِّحمة، وكشف الضر، فيُخَفِّفَ ألمه، وتشتط نفسه، **ولهذا من لطف الله بالمؤمنين:** أن جعل في قلوبهم احتساب الأجر؛ فحقت مصائبهم، وهان ما يلقون من المشاق في حصول مرضاته.

ومن لطف الله بعبده المؤمن الضعيف: أن يعافيه من أسباب الابتلاء التي تضعف إيمانه، وتُنقص إيقانه، **كما أن من لطفه بالمؤمن القوي:** تهينة أسباب الابتلاء والامتحان ويعينه عليها، ويحولها عنه ويزداد بذلك إيمانه، ويعظم أجره، فسُبْحان اللطيف في ابتلائه وعافيته، وعطائه ومنعه.

ومن لطف الله بعبده: أن يسعى لكمال نفسه مع أقرب طريق يوصله إلى ذلك، مع وجود غيرها من الطرق التي تبعد عليه، فيُسِّرَ عليه التعلّم من كتاب أو مُعلِّم يكون حصول المقصود به أقرب وأسهل، وكذلك يُيسِّرَ لعبادة يفعلها بحالة اليسر والسهولة، وعدم التعويق عن غيرها ممّا ينفعه، فهذا من اللطف.

ومن لطف الله بعبده: قدَّر الواردات الكثيرة، والأشغال المتنوعة، والتدبيرات والتعلقات الداخلة والخارجة، التي لو قُسمت على أمة من الناس لعجزت قواهم عليها، أن يمنَّ عليه بخُلُقٍ واسع، وصدر مُتَّسع، وقلب مُنشرح، بحيث يُعطي كل فردٍ من أفرادها نظراً ثاقباً، وتدبيراً تاماً، وهو غير مكترث ولا منزعج لكثرتها وتفاوتها، بل قد أعانه الله تعالى عليها، ولطفَ به فيها، ولطفَ له في تسهيل أسبابها وطرقها. وإذا أردت أن تعرف هذا الأمر فانظر إلى حالة المصطفى صلى الله عليه وسلم، الذي بعثه الله بصلاح الدارين، وحصول السعادتين، وبعثه مُكملاً لنفسه ومُكملاً لأمة عظيمة هي خير الأمم، ومع هذا مكَّنه الله ببعض عمره الشريف في نحو ثلث عمره أن يقوم بأمر الله كله على كثرته وتنوعه، وأن يُقيم لأمته جميع دينهم، ويُعلِّمهم جميع أصوله وفروعها، ويُخرج الله به أمةً كبيرةً من الظلمات إلى النور، ويحصل به من المصالح والمنافع، والخير والسعادة - للخاص والعام - ما لا تقوم به أمةٌ من الخلق.

ومن لطف الله تعالى بعبده: أن يجعل ما يبتليه به من المعاصي سبباً لرحمته، فيفتح له عند وقوع ذلك باب التوبة والتضرع، والابتهاال إلى ربِّه، وازدراء نفسه واحتقارها، وزوال العجب والكبر من قلبه ما هو خيرٌ له من كثير من الطاعات.

ومن لطفه بعبده الحبيب عنده: إذا مالت نفسه مع شهوات النفس الضاربة، واسترسلت في ذلك؛ أن يُنَغِّصها عليه ويكدرها، فلا يكاد يتناول منها شيئاً إلا مقروناً بالمكدرات، مُحشواً بالغصص؛ لئلا يميل معها كل الميل، كما أن من لطفه به أن يُلدِّذ له التقربات، ويحلي له الطاعات؛ ليميل إليها كل الميل.

ومن لطيف لطف الله بعبده: أن يأجره على أعمالٍ لم يعملها بل عزم عليها،